العامل الاقتصادي وأثره على الوشاية في دولة المماليك البحرية (٦٤٨هـ – ٧٨٤هـ)

The Economic Factor and Its Impact on the Snitching in the Marine Mamluks State (648-784h)

م. م. فاطمة عدنان زاير*
م. م. شذى غالب حسن*

Fatima Adnan Zair
Shatha Ghalib Hasan

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان الأثر الواضح للعامل الاقتصادي، وكونه سبب مهم وبارز للوشاية عن طريق ذكر مجموعة من الشخصيات التي وقعت عليها الوشاية وكان دافعها الاقوى والابرز هو هذا العامل، وإنْ جاءت دوافع اخرى معه عرضاً، فقد كان يتخذ الواشي هذا العامل سبباً وذريعةً للإيقاع بالموشى به، وكذلك يهدف البحث إلى بيان أثر الوشاية على النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في دولة المماليك البحرية (٦٤٨ – ٧٨٤هـ).

الكلمات المفتاحيّة: العامل الاقتصادي، الوشاية، دولة المماليك البحرية.

Abstract:

This research aims to show the clear impact of the economic factor, and that it is an important and prominent cause of snitching by mentioning a group of personalities who were snitched and whose strongest and most prominent motive was this factor and if other motives came accidentally with him, the snitcher used this factor as a reason and an excuse to entrap the man who told about him, as well as that, the research aims to show the impact of snitching on the social, political and economic system on the Marine Mamaleek state (648- 784h).

Keywords: Economy Factor, Snitching, Marine Mamluks State.

* جامعة الحمدانية – العراق.

Email: fatimahadnan329@gmail.com
* University of Al-Hamdaniya - Iraq.

* جامعة واسط – العراق.

Email: shatha5t7t@gmail.com
* Wasit University - Iraq.

المقدّمة:

لعبت الأسباب الاقتصادية دورًا كبيرًا في وقوع الوشاية والسعي بالشخص الموشى به إلى السلطات الحاكمة والقضاء في سبيل ردعه أو معاقبته أو مصادرة أمواله للحفاظ على الأمن العام للدولة خاصة وإنّ الدولة المملوكية أخذت تموج بالحركة وتزدهر بالنشاط الاقتصادي، وسوف نشير إلى بعض الوشايات التي وقعت نتيجة لتلك الأسباب في دولة المماليك البحرية.

الوشايات التي وقعت على بعض الشخصيات والتي كان سببها العامل الاقتصاديّ:

قد أوقعت حبال الوشاية بالأمراء سيف الدِّين الرشيدي (هو بلبان بن عبد الله الامير سيف الدين الزيني الصالحي النجمي، احد امراء دمشق الاعيان، مقدم البحرية في اوائل دولة الاتراك، مات سنة (٦٧٧هـ)) (اليونيني، ١٩٩٣، ٣٠١)، وعز الدِّين الدمياطي (هو ايبك بن عبد الله الدمياطي، الامير عز الدين، كان من المماليك الصالحية ومن اعيان الامراء بديار مصر توفي سنة (٧٧٦هـ)) (الصفدي، ١٩٩٨، ٤٧٧)، وشمس الدِّين البرلي (هو اقوش بن عبد الله العزيزي، البرنلي، ومعناه كبير الانف ولي نيابة حلب وغيرها وجرت له امور وحوادث طويلة حتى سجن وتوفي سنة (٦٦٨هـ)) (بردي، د.ت،١١٤) فقد أوشى بهم الى السلطان بيبرس البندقداري عام (٦٦١هـ) بعد أنّ أحسن إليهم، وفوض تدبير أمور المملكة إلى الرشيدي الذي اطلق يده في الدولة حتى أصبحت كلمته هي النافذة، فقد أنعم عليه السلطان بالشيء الكثير من المرتبات، والاقطاعات الجليلة، إلّا إنّه تمادى بتصرفاته في كل شيء حتى تناسى نفسه وأقبل على شرب الخمر واللهو والبذخ، فنّم به إلى السلطان إنّ نيته قد فسدت ووقعت منه بعض الأمور التي لا تسر فغضب السلطان منه واقام عليه العيون التي تراقب منه كل ما يجري، فبلغ السلطان من إنّه يباطن الملك المغيث بالكرك ويستحثه بأن لا يسلم نفسه للسلطان كما أوشي للسلطان بأنّه سعى للمبادرة بالاستيلاء على الكرك، فحذره السلطان ورسم باعتقاله كما اعتقل الامير عز الدِّين الدمياطي وسيف الدِّين البرلي، بسبب انعامه عليهما وعطائه الزائد، إلّا أنّ سوء تدبيرهما أوقع بهما وتم حبسهم جميعًا في قلعة الجبل (الداوداري، ٩٦؛ النويري،٥٢).

نلاحظ الاندماج الواضح في الاسباب الاقتصادية والسياسية للوشاية، فقد حاول الوشاة تنبيه السلطان إلى سوء تدبير الأمراء واستحواذهم على الاقطاعات وانغمار بعضهم بملذاته واسرافه باللهو وشرب الخمر،

لدوافع اقتصادية، كما كان فيها تنبيه للسلطان لدوافع سياسية، منها محاولة الرشيدي التدخل في الامور السياسية بين السلطان بيرس وبين الملك المغيث، فضلًا عن محاولة قيامه بالاستحواذ على الكرك.

وحدث في سنة (٦٧٨ هـ) إنّ السلطان الملك السعيد (محمد بركة قان بن الملك الظاهر ركن الدين ابي سعيد بيبرس بن عبد الله البندقداري ينعت بالملك السعيد ولد في سنة (٦٥٨هـ) توفي سنة (٦٧٨هـ)) (ابن الفرات، ١٩٣٩، ١٦٥) قد أطلق مبلغ الف دينار على بعض السكة، فأمتنع النائب الأمير كوندك (هو سيف الدين كوندك الظاهري، تقدم عند الملك السعيد وعظم امره، وقد امتدت اطماعه ليكون عوضًا عن شمس الدين الفارقاني في نيابة السلطنة وكان سببًا في خراب دولة الملك السعيد بعد ان خرج عن طاعته سنة (٦٧٨هـ))(النويري، ٢٠٠٤، ٣٧٧؛ الذهبي، ٢٠٠٣، ٣١؛ العيني، ٢٠٠٩، ١٥٧) في أطلاقها، فوقعت منافرة حادة بين النائب والخاصّكية، فوشوا إلى السلطان بذلك وقد أصروا على عزله، وقد أمتنع الملك السعيد في أوّل الأمر ألّا إنّه عجز عن تلافي مطلبهم، فرسم بعزله (الدواداري، ١٩٧٢، ٢٢٧؛ النويري، ٢٠٠٤ ،٢٥١–٢٥٢؛ اليونيني، ١٩٩٣، د.ص.).

يتضح من تلك الوشاية إنّ الخاصّكية كان لهم الدور المؤثر والفعال عند أساتيذهم، خاصة بعد ما أطلق الملك السعيد لهم العطاء والأموال الكثيرة والاقطاعية التي أعلت من شأنهم وأطلقت لهم العنان للتدخل في أمور الدولة.

كما أصابت عواقب الوشاية نائب السلطنة في دمشق عز الدِّين ايبك الحموي الظاهري (هو ايبك بن عبدالله، التركي الحموي، الظاهري، الامير عز الدين، كان من اعيان الامراء بالديار المصرية، توفي سنة (٧٠٣هـ)) (الصقاعي، ١٩٧٤ ، ١٦؛ أبن طولون، ١٩٤٩، ٢٢٧) في عام (٦٩٥هـ)، الذي أوشي به إلى السلطان العادل بسوء إدارته لعمله وكثرة طمعه وتماديه في بسط يده في أخذ الأموال والمصانعات والاستثمارات من الناس، فرسم السلطان بعزله عن نيابة دمشق وإيقاع الحوطة على امواله وخيوله المسومة واقمشته، إلّا إنّ الملك العادل رغم ذلك لم يتخل عنه، بل أنعم عليه بالأقطاع الذي كان تحت الأمير سيف الدِّين اغرلو (هو الامير شجاع الدين السيفي، كان مملوك سيف الدين بهادر وبعد موت استاذه تنقل عند الامير سيف الدين بكتمر وجعله امير اخور تولى بعدها نيابة اشموم وسفك بها ثم نيابة الشويك ثم ولاية القاهرة ايام الصالح اسماعيل ثم ولاه شد الدواوين في ولاية الكامل شعبان قتل سنة (٧٤٨هـ)). (الصفدي، ١٩٩٨، ٥٤٣–٤٥٤؛ المقريزي، ١٩٩١، ١٩٠) الذي حلَّ مَحله في الديار المصرية (ابن الفرات، ١٩٣٩، ٢١٤؛ الصقاعي، ١٩٧٤ ، ١٧).

وبدخول سنة (٦٩٧هـ) كانت مصر مقسمة إلى أربعة وعشرين قيراطاً، إذ قام الملك المنصور لاجين بالعمل بالروك الحسامي (الروك معناه مسح ارض الزراعة في بلد من البلدان لتقدير الخراج المستحق عليها لبيت المال) (النويري،٢٠٠٤، ٢١٧–٢١٨) ، إذ رسم السلطان للأمراء والجند عشرة قراريط وأمر في حال إذا اشتكى أحد الجنود أنّ يضاف له قيراطًا آخر، إلّا إنّ معظم الأمراء والجند تذمروا من ذلك، وممّا زاد الموقف توترًا هو الأمير منكوتمر (منكوتمر بن عبد الله الحسامي المنصوري الامير سيف الدين نائب السلطنة في الديار المصرية لاستاذه الملك المنصور لاجين، قتل بعد استاذه بيوم في سنة (٦٩٨هـ)) (ابن تغري، د.ت.، ٧٤٦) نائب السلطنة والمتكلم في هذا الأمر فقد قابح الأمراء، والجنود بأسلوبه المشين حتى كرهه العسكر وكثر دعاء الناس عليه خاصة بعد تفريق المثالات (المثال، عبارة عن وثيقة رسمية تصدر عن ديوان الخراج الى كل جندي او مملوك مبينًا بها مقدار ما خصه بالفدان من الاراضي الزراعية التي يستغلها وحدودها واسم الاقليم والقرية) (المقريزي، ١٩٩٨، ٨٧؛ عاشور، ١٩٧٦ ، ٤٦٨) على الأمراء والجند وهم متذمرون منها معلنين عدم الرضا قاصدين الوثوب على السلطان (النويري، ٢٠٠٤، ٢٢٢؛ الحجي، ١٩٩٢ ، ٢٩)، إلّا إنّ الأمير منكوتمر وشى بهم إلى السلطان محرضًا اياه بالقبض على بعض الأمراء ومنهم الأمير اينبك الحموي (اينبك بن عبد الله البدري المتغلب على الاشرف شعبان بن حسين وكان سببًا في قتله ولي منصب الاتابكية للمنصور علي بن الاشرف وقبض عليه قراطاي وسجنه بالاسكندرية الى ان قتل بها سنة (٧٧٨هـ)) (ابن تغري، د.ت.، ١٧٧) وآخرين معه وإرسالهم إلى السجن كما وأرسل بالقبض على نائب الشام الأمير قبجق (هو قبجق المنصوري اصله من المغل من مماليك المنصور قلاوون، ولي نيابة الشام (٦٩٦هـ) في عهد الملك المنصور لاجين ثم هرب الى التتار وبعد عودته ولي نيابة حلب في عهد الملك الناصر سنة (٧٠٩هـ) الى ان توفي سنة (٧١٠هـ)) (العسقلاني، د.ت.، ٢٤١–٢٤٣) ألّا إنّه تنبه إلى ذلك وهرب إلى عند القان غازان (هو محمود بن ارغوان المغلي الجنكيز خاني وقيل غازان ولي الملك سنة (٦٩٣ هـ) وقد اسلم وفشا الاسلام باسلامه في مماليك التتار واظهر العدل كان يسمى محمودًا ايضًا، توفي سنة (٧٠٣هـ)) (العسقلاني،د.ت.، ٢١٢–٢١٤) مع مجموعة من الأمراء منهم بكتمر الابو بكري (بكتمر الابو بكري المنصوري من اكابر الامراء في دولة الناصر امره المنصور اربعين هو اول من تنقل من الجندية الى الطبلخاناه ثم صار امير سلاح توفي سنة (٧٢٨هـ) كان كثير المعروف سليم الباطن) (العسقلاني، د.ت.، ٤٨٢) وبزلار (هو امير سلاح كان من كبار الامراء بمصر عين لنيابة دمشق فلم تتم وتوفي سنة (٧٥٦هـ)) (العسقلاني، د. ت.، ٤٧٦)، ويعدّ المؤرخ المقريزي (٨٤٥هـ) (المقريزي، ١٩٩٧، ٨٤٦)، والمؤرخ ابن تغري بردي (٨٧٤هـ) (ابن تغري بردي، ١٩٧١، ٩٥) أنّ هذا الروك كان

سببًا مباشرًا في إضعاف الدولة المملوكية ومن ثم زوالها، بسبب ما أصاب الجيش المملوكي من ضعف وتفكك (المنصوري، ١٩٩٨ ،٣١٧–٣١٨؛ العريني، دون تاريخ، ١٧٨)، وثمة أسباب يجب توضيحها كانت سببًا في هذا الوشاية نذكر منها:

١- حالة السخط والحنق التي أصابت الجند والأمراء، بسب توزيع المثالات عليهم من قبل النائب منكوتمر الذي إبتعد كل البعد عن تطبيق العدالة، ممّا أثار خوف منكومتر من تكاتف الأمراء والجند الشجعان للنيل منه خاصة وإنّهم قاموا برمي مثالاتهم عليه بسبب عدم رضاهم عنها.

٢- هدد الجند بالانقطاع عن الخدمة السلطانية والذهاب للعمل مع الأمراء أو البقاء من دون عمل، ممّا أثار غضب منكوتمر فأمر الحجاب بضربهم، ووشي بهم إلى السلطان لينال منهم.

٣- ويضاف أمر آخر وهو الفتنة التي وقعت بين الأمراء والجند فمنهم من سعد بمثاله ومنهم من أصابه الضجر والشقاء، ممّا أدى بالنائب منكوتمر للنّم بهم للسلطان لاجين لتفادي هذه الفتنة.

٤- اشار بيبرس الدوادار قائلا: "**واستقل منكوتمر بالنيابة واظهر العظمة والمهابة... وسلم اليه استاذه القيادة ووكل اليه تدبير البلاد والعباد فبسط يده ولسانه وقلمه واحتجن الاموال...**" (المنصوري، ١٩٩٨ ، ٣١٦) وهذا إنّ دّل على شيء إنّما يدّل على حالة التكبر والتعجب والتجبر واستصغار الناس، فقام بالوشاية بالأمراء والجند إلى السلطان حفاظًا على رتبته ومنصبه.

٥- حبّ الذات والثروة قد دفعت بالنائب منكوتمر بالوشاية بالأمراء والجند إلى السلطان، خاصة وإنّه ملك من الاقطاعات ما فاق عن الحدّ.

كما وقع في شباك الوشاية الوزير ناصر الدين الشيخي (هو ذبيان بن عبد الله، الامير ناصر الدين الشيخي، حضر من بلاد المشرق، ولي القاهرة، ثم ولي الوزارة في مصر سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٤م توفي سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٥م) (العسقلاني، د.ت.، ١٠٤–١٠٥)، فقد أوشي به إلى الأمير سلار عند عودته من الحجاز عام (٧٠٣هـ)، بأنّ ناصر الدِّين تحدث للسلطان الناصر محمّد وأسر له أشياء، وقدم له الفي دينار كان السلطان بحاجتها لشراء الهدايا لحرمه (المقريزي، ١٩٩٧ ، ٣٧٣؛ الشوكاني، د. ت.، ٢٤٩)، كما نّم إليه بان الشيخي جسر الملك الناصر على بعض الامور التي لم تخطر على ذهنه عندما كان تحت حجر الأميرين سلار وبيبرس، وأن السلطان الناصر محمّد تقرب إليه كثيرًا وكان يطلبه إليه كل ما يحتاج شيئاً، فقرر الأميران الحط من قدره، والقبض عليه وسجنه ومصادرة جميع موجوداته مع إيقاع أشد العقوبات في حقه التي أودت بحياته في ذي القعدة سنة (٧٠٤هـ) (العيني، ٢٠٠٩، ٣٦١).

ولم يسلم من خطر الوشاية شاد العمائر (وموضوعها ان يكون صاحبها متكلمًا في العمائر السلطانية مما يختار السلطان احداثه او تجديده من القصور والمنازل والاسوار وهي امرة عشرة) (القلقشندي، ١٩٢٢، ٢٢) ، الأمير شمس الدِّين أقسنقر (هو اقسنقر الرومي، الامير شمس الدين، جعله الناصر من جملة الامراء الآخورية، ثم صيره شاد العمائر في سنة (٧١٥هـ) ثم تغير عليه السلطان في سنة (٧٢٨هـ) واخرجه الى الشام ثم قبض عليه وسجن بحلب وافرج عنه وامر طبلخاناه بدمشق حتى وفاته سنة(٧٤٠هـ)) (العسقلاني، د.ت.، ٣٩٣)، فقد أُوشي به عام (٧٢٥هـ) من إنّ جميع ما يملك من عمائر وأملاك جديدة كان يأخذها من أرباب الصنائع وأموال الأسرى، فقرر عليه مالًا أُلزم به، إلّا إنّ شفاعة الأمير قوصون به أنقذته من العقوبة وأُفرج عنه، وتم إخراجه إلى بلاد الشام (المقريزي، ١٩٩٧، ١٠٥).

وفي وشاية أخرى أوقعت الأمير بكتوت (بكتوت، امير شكار الخزنداري نسبة الى بيليك الخزندار ثم رقى الى امير شكار وعظم امره في ايام سلار ولي نيابة الاسكندرية، توفي سنة (٧١١هـ)) (القلقشندي، ١٩٢٢، ٤٨٩)، سنة (٧١١هـ) عندما قام بكتوت ببناء جسر من أمواله الخاصة وحتى أتم بناءه بعد ثلاثة أشهر مقيمًا عليه قنطرة (هي جسر مقوس مبني فوق النهر يعبر عليه وجمعها قناطر) (مصطفى وآخرون، د.ت.،٤٤١) بنيت بالحجر الكلسي، وبناء حانوتًا (مصطفى واخرون، د.ت.،٢٠١)، وخانًا (جمعه خانات وهي الوكالات او الفنادق المعدة لاستقبال التجار وبضائعهم ودوابهم وغيرهم من المسافرين والحجاج) (زباتي، ٢٠١٠، ١٣٦)، وقد ابتناه بعناية إذ استخدم الرصاص في أساسه وبلغت نفقته عليه ستين ألف دينار، ألّا أنّ شجارًا وقع ما بين الأمير بكتوت وبين صهره، فوشى به صهره إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأخذ يغريه بأموال بكتوت، حتى رسم بأنّ تكتب عليه أوراقًا من قبل أمين الملك عبد الله ابن الغنام (هو الوزير الصاحب ابن الملك سعيد عبد الله بن تاج الرياسة ابن الغنام وزر ثلاث مرات بالديار المصرية وتولى قبلها نظر الدولة واستيفاء الصحبة وهو من القبط ثم اسلم وحسن اسلامه ثم عزل وقبض عليه وتوفي تحت العقوبة سنة (٧٤١هـ)) (العسقلاني، ١٩٦٩، ٣٧٩) مستوفي الدولة (جمعها مستوفون وهم كتاب الاموال بالدواوين الذين يضبطون ما يتبعها) (دهمان، ١٩٩٠، ١٣٨) بمبلغ من المال قدره أربعمائة الف دينار وعزل، وطلب منه أنّ يحضر إلى القاهرة، وقد تم قراءة الأوراق عليه، فأجاب قائلًا: "**قبلوا الأرض بين يدي مولانا السلطان وعرفوه عن مملوكه إنّ كان راضيًا عنه فكل ما كتب كذب وإنّ كان غير راضٍ فكل ما كتب صحيح**" (المقريزي، ١٩٩٧ ، ٤٧٥؛ بردي، ١٩٧١، ٢١٨)، إلّا إنّه أصابته وعكة صحية ووافته المنية عند سفره إلى القاهرة سنة (٧١١هـ) فتم مصادرة أمواله التي بلغت من الكثرة من قبل السلطان (المقريزي، ١٩٩٧ ، ٤٧٥).

يبدو إنّ الخلافات العائلية كانت دافعًا وراء هذا الوشاية والقيام بها، وربما يكون الحسد وما يرافقه من غلّ في ذلك، فقد دفع ذلك صهر الأمير بكتوب حتى نّم به إلى السلطان لأسباب اقتصادية، مع إنّه كان يملك الأموال الكثيرة، والاملاك حتى تمكن من بناء ذلك الجسر المتين وما لحق به من الحانوت والخان، سعيًا منه لأغراء السلطان بمصادرة أمواله والاستحواذ على حواصله، وربما كانت هذه الوشاية دافعها التقرب من السلطان من أجل الحصول على المنصب أو المال والإنعام، أو لترغيب السلطان باستحصال الأموال من بكتوت لرفد وتمويل خزانة الدولة.

ويمكن عدّ هذه الوشاية من الوشايات ذات الأسباب والنتائج السلبية، لكونها نتجت عن الحسد والغلّ الناجم عن الصراعات العائلية، ولم تقدم هذه الوشاية النتائج المنشودة على الصعيد الاقتصادي لدولة المماليك البحرية، يمكن أنّ نستنتج منه أيضًا إنّ الوشاية لعبت دورًا بارزًا في عزل بعض من موظفي الدولة وإن كانوا يتصفون بالنزاهة، فقد ذكر ابن تغري بردي عن الأمير بكتوت قائلاً: "**كان من أعيان الأمراء وأجلهم وكرمائهم وشجعانهم مع الذكاء والعقل والمروءة**" (بردي، ١٩٧١، ٢١٩)، إلّا إنّ ذلك كله لم يغير شيئًا من تلك الوشاية التي آلت به إلى العزل والمطالبة بأمواله التي صودرت بعد وفاته، فقد أوغر الوشاة صدور السلاطين وزينوا لهم أخذ أمواله، وحواصله الكثيرة، وتمّت مصادرتها.

ومن بين من تعرض للوشاية هو أحد مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون وهو شاب ذو خلقة حسنة أعجب به السلطان، إلّا إنّه كان في وجهه أثر شبيها بضربة سيف، وقد جذب ذلك أنظار السلطان وهو يناوله مثالًا بإقطاع مناسبًا له، فسأله السلطان قائلاً: "**في إي مصاف وقع في وجهك هذا السيف؟ فقال يا خوند: هذا ما هو أثر سيف، وإنّما وقعت من سلم فصار في وجهي هذا الأثر...**" (ابن تغري بردي، ١٩٧١، ٥٢) وقد تركه السلطان متبسماً، إلّا إنّ ناظر الجيش الفخر(محمد بن فضل الله القاضي الرئيس فخر الدين ناظر الجيوش بالديار المصرية، كان نصرانيًا ثم اسلم، كان اولًا كاتب المماليك ثم ولي نظر الجيش توفي سنة (٧٣٢ هـ)) (بردي، د.ت.، ٦٧٣؛ بردي، ١٩٨١، ٢٦٣–٢٦٥) وشى إلى السلطان بأنّ هذا الشاب لا يصلح له ما منحته اياه، إلّا إنّ السلطان الملك الناصر قال: "**قد صدقني وقال الحق، وقد أخذ رزقه، فلو قال:" اصبت في المصاف الفلاني من كان يكذبه!**" (بردي، ١٩٧١، ٥٣) وانصرف الشاب بما كتب له من إقطاع والسلطان راضٍ عنه (المقريزي، ١٩٩٧ ، ٥٠٩ ؛ بردي، ١٩٧١، ٥٢–٥٣).

ولقد وشى ناظر الخاص النشو بابن الجيعان (لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة)، إذ دخل النشو على السلطان ونّم إليه قائلًا: "**إنّ ابن الجيعان اخرج الليلة صندوق فيه خمسة آلاف دينار واعزل منه ثلاثة آلاف يبرطل** (البراطيل، مفردها برطيل وتعني الرشوة) (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥، ٩٦٦) **بها ويرافع إلى أن يباشر نظر الخاص وقد تاخرت ألفي دينار شالها في الصندوق...**" (اليوسفي، ١٩٨٦، ٢٦٣)، وقد ابلغ السلطان بأن هذا الخبر مؤكد وصل إليه من أحدى النساء في بيت ابن الجيعان فرسم السلطان إزاء ذلك إلى اللؤلؤ (لؤلؤ الحلبي، الامير بدر الدين، اصله مملوك فندش، ضامن دار الطعم كان يبيع اسقاط الغنم والاقصاب والتعاشير على رأسه وهو طائف به اثم صار الضامن كاتب السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٣٣هـ) حضر القاهرة واخذ بمعاقبة المباشرين يستصفي اموالهم حتى ساءت سمعته عند العامة وصار شادا للدواوين ثم امره طبلخاناه فكثر تعاظمه حتى عزله السلطان سنة (٧٣٧هـ) واحيط بماله وصودر) (المقريزي، ١٩٩١، ١٣؛ العسقلاني، د.ت.، ٢٧٢) بأن يقبض على ابن الجيعان وأولاده وأخوته وأنّ يصادر بيته وموجوداته (اليوسفي، ١٩٨٦، ٢٦٣؛ المقريزي، ١٩٩٧، ١٨٩).

من اللافت للانتباه في هذه الرواية تداخل الوشايات فيها، فالظاهر إنّ الوشاية أصبحت تلعب دورها في تغيير مجرى الأحداث في داخل المجتمع المملوكي، فقد وشت إحدى النساء بابن الجيعان إلى النشو وربما كانت وشايتها له مقابل مكافئة، كما وقد وشى النشو بدوره بان الجيعان للسلطان لغرض النيل منه ومعاقبته وتعود هذه الوشاية لأسباب لعدة نذكر منها:

١- تجسس النشو على بيوت كبار رجال الدولة والكتاب عن طريق اتخاذه الكثير من العجائز الدلالات اللواتي يبعن القماش للنساء ويصبرن عليهن إلى اجل تسديد المبلغ، فكان النشو بسياسته هذه يحاول الإيقاع بكل من ينافسه في جمع الأموال والمصادرات (المقريزي، ١٩٩٧، ١٨٨) وكان ابن الجيعان ممن يسعى إلى ذلك فكان حسب قول اليوسفي: "**ألعن من النشو**" (اليوسفي، ١٩٨٦، ٢٦٣).

٢- قصد النشو من هذه الوشاية بلوغ غايته وما كان قد تمناه من ابن الجيعان وأولاده فأستغل هذه الوقيعة وقام بمصادرة عدد كبير من الذين أتخذ منهم موقفًا، وتغير خاطره منهم، فقد بلغ النشو إنّ أحد أبناء ابن الجيعان كان يسعى في نظر الجيش والابن الآخر سعى في نظر الخاص (المقريزي، ١٩٩٧، ١٨٨) كما بلغ النشو إنّ نساء أولاد ابن الجيعان ذكرن النشو بسوء، بسبب كثرة تعسفه، وظلمه للرعية وقمن بالدعاء عليه بسبب طغيانه وسوء سيرته (المقريزي، ١٩٩٧، ١٨٨)، ممّا أدى إلى غضب النشو ورغبته في النيل من ابن الجيعان وأولاده عن طريق النّم بهم إلى السلطان حتى رسم بالقبض عليهم وعلى أقاربهم.

٣- ومن المؤكد إنّ النشو بوشايته هذه قد سعى إلى التقرب من السلطان والتزلف له لكي يبقى تدبير أمور المملكة له وحده، فقد عرف عن كبار رجال الدولة المملوكية وأمراؤها سعيهم الدؤوب في سبيل كسب ود السلاطين وثقتهم.

نستنتج من ذلك إنّ الأسباب الاقتصادية كان لها الدور الاكبر في الوشاية بكل من تسول له نفسه بالتلاعب بأموال وممتلكات الدولة وأموال العوام من الناس، إلّا أنّ مثل هكذا وشايات ربما تكون في مصلحة الدولة، وهذا من الجوانب الايجابية للوشاية، فهي من هذا المنظور يمكن عدّها من وسائل الضبط الاجتماعي، والرقابة الاجتماعية على موارد الدولة الاقتصادية، وربما تكون مثل هذه الوشاية لمصلحة الواشي نفسه، وغالبًا كان السلطان المملوكي يتخذ الإجراءات السريعة للتحقق من صحة الوشاية ثم اتخاذ ما يناسبها من عقوبات.

ومن الوشايات ذات الطابع الاقتصادي الوشاية التي قام بها النشو عندما نّم بأملاك الأمير اقبغا عبد الواحد إلى السلطان الناصر محمد في سنة (٧٤٠هـ) عندما ذكر للسلطان ما يمكن استحصاله من أموال الأمير اقبغا وأراضي ومرتبات ومتاجر، مع وضع الرسوم على صناع العمائر وأرباب الوظائف السلطانية، واشيًا له بالعمائر التي أقامها اقبغا له في بلاد الشام من ديوان السلطان، عدا ما كان يعمره في الديار المصرية، كما وشى للسلطان تفاصيل عن أملاك الأمير طاجار (هو طاجار بن عبد الله الناصري الدوادار، الامير سيف الدين اصله من مماليك الناصر محمد وخاصكيته ولاه الدوادارية بعناية النشو لانه كان صغيرا، توفي سنة (٧٤٢هـ)) (العسقلاني، د.ت.،٢١٤)، الدوادار في بلاد الشام سوى ما كان له في ديار مصر أيضًا، فرسم السلطان بالقبض عليهما (المقريزي، ١٩٩٧، ٢٦٥؛ بردي، ١٩٧١، ١٣٢).

يبدو واضحًا إنّ ما وصل إليه النشو من إسراف وبذخ وظلم في الرعية مع زيادة طلب السلطان منه، أدى ذلك إلى تخوفه من العجز (المقريزي، ١٩٩٧، ٢٦٤؛ بردي، ١٩٧١، ١٣١)، فتراجع عن ظلمه للعامة، بأنّ بادر للتعرض إلى أموال الخاص، فرتب تلك الوشايات الى السلطان أملًا منه لاستحصال الأموال من خواص السلطان، ذكر ابن حجر العسقلاني قائلًا عن الامير آقبغا: "**وكان جبارًا كثير الظلم، ثم صودر في دولة المنصور... والزم بِرَدِّ ما اغتصبه واحاطوا بموجوده الى ان اعوزه وجود مائة درهم من ماله...**" (العسقلاني، د.ت.، ٣٩١)، وقد يكون ما أتصف به الأمير اقبغا من سوء السيرة واستحواذه على الأموال دافعًا للوشاية به من قبل النشو.

أمّا الأمير قوصون ففي عام (٧٤٢هـ) كان قد أحتفل بسبب قدوم نائب الشام الطنبغا الصالحي فأكثر من الأنفاق والأنعام، وقام بفتح ذخيرة السلطنة، وقد بلغت انعاماته على ما فرقه من الأمراء والخاصّكية والعسكر ستمائة الف دينار فشاع عنه رغبته بالسلطنة، ممّا أثار ذلك مخاوف ايدغمش وأتباعه من تماديه في التحكم في الدولة فوشى به الى الخاصّكية وبعض القادة الكبار والعامة فهجمت العامة على إصطبل قوصون واستولوا على ممتلكاته وما حوته من مقتنيات وتعرض للسلب والنهب تحت أعين الأمير ايدغمش ومماليكه، وبذلك فقد جرأ ايدغمش العامة على نهب ممتلكات مدبر المملكة واصطبله (المقريزي، ١٩٩٧، ٣٥١-٣٥٦).

كما تعرض للوشاية كل من كان له صلة بالأمير قوصون بمن فيهم قاضي القضاة حسام الدِّين الغوري الحنفي (هو حسام الدين الحسن بن محمد الغوري، ولد في بغداد، وتلقى الفقه فيها وتدرج بالمناصب فولي الحسبة) (العسقلاني، ١٩٩٨، ١٣٧) الذي أُتهم بتعاطي الحشيش وفعل المنكرات (المقريزي، ١٩٩٧، ٣٥٥)، وهذا غير مؤكد، والراجح إنّها وشايات كيدية بسبب مواقفه السياسية.

في سنة (٧٤٤هـ) وشى نواب البلاد الشاميّة إلى السلطان بالأمير اق سنقر (هو اق سنقر بن عبد الله السلاري الامير شمس الدين، من جملة امراء الدولة الناصرية محمد قلاوون وبعد موت استاذه سلار ولاه الناصر نيابة صفد ثم نيابة غزة، ثم ولي نيابة السلطنة بالديار المصرية وحسنت سيرته واظهر العدل والكرم المفرط، توفي سنة (٧٤٤هـ)) (الصفدي،١٩٧٤، ٣١٤؛ بردي، ١٩٨٤، ٤٩٩) بأنّه أطلق يده بمنح الاقطاعات والأراضي والأرزاق إلى كل من قصده، حتى قصده الناس من كل قطر يسألونه منحهم الأراضي التي لا تعود لشخص معيّن وكذلك سألوه الرواتب والأعمال ونيابة القلاع (نائب القلعة، هو امير طبلخاناه له التحدث على باب القلعة الكبير الذي منه طلوع عامة العسكر ونزولهم في الفتح والغلق ونحو ذلك) (القلقشندي، ١٩٢٢، ٢٣) وحتى اقطاعات الحلقة (يقصد بها من مات من جند الحلقة استخدم النائب اقطاعه عوضًا عنه ويكتب بذلك رقعة في ديوان جيش تلك المملكة ويجهز مع بريدي الى الابواب السلطانية وان امضاها السلطان كتب عليها (يكتب) ويكتب بها مربعة من ديوان الجيش ويكتب عليها منشور) (القلقشندي،١٩٢٢، ٥١) فلم يكن يرد أحدًا إذا سأله عن ذلك فتغير وجهه ويجيب قائلًا: "**ليش تقطع رزق الناس**" (المقريزي،١٩٩٧، ٣٩٣)، فإذا حضر صاحب الإقطاع الفعلي من سفر أو غياب بسبب مرضه ثم عاد بعد أنّ تعافي وأراد أعادة ملكه وإقطاعه أجابه: "**هذا أخذ اقطاعك ونحن نعوضك**" (المقريزي،١٩٩٧، ٣٩٤؛ بردي، ١٩٧١، ٨٧) ، ممّا أدى بفعلته هذه إلى فساد الأوضاع خاصة في البلاد الشاميّة (بردي، ١٩٧١، ٨٧)، فطلبه السلطان وكلمه في الأمر لكن دون طائل، قائلًا للسلطان:

"**كل من طلب مني شـــيئًا اعطيته وما ارد قلمي عن احد**" (المقريزي، ١٩٩٧، ٣٩٤؛ بردي، ١٩٧١، ٨٧)، إذ يذكر بأنّه كان يكتب بخطه على القصـــة المقدمة إليه دون أنّ يعرف ما تحويه، وأتفق مع هذه الوشـاية وشـاية أخرى به للسـلطان من قبل الأمير اق سـنقر الناصـري (اق سـنقر بن عبد الله الناصـري، الامير شـمس الدين نسـبة الى الملك الناصـر محمد بن قلاوون، الذي جعله امير مائة ومقدم الف بالديار المصـرية واامير شـكار وزوجه احدى بناته تولى نيابة غزة في عهد الملك الناصـر قتل سـنة (٧٤٨هـــ)) (الصفدي، ١٩٧٤، ٣١١؛ بردي، ١٩٨٤، ٤٩٦) إذ وشى به إلى السلطان بأنّه كان يراسل الملك الناصر أحمد خفية وإنّ كافة كتب السـلطان تصـل إليه، فتم القبض عليه هو والملك الناصـر أحمد مع حاشـيته وإنهاء أمرهما بسـجن الأمير اق سـنقر نائب السـلطنة ثم مقتله ومقتل أخ السـلطان الناصـر أحمد (ابن حبيب، ١٩٧٦، ٦٥؛ مهدي، ٢٠٠٨، ١٢٣)، ويمكن ذكر أســباب عدة دفعت النواب، والأمير شـــمس الدِّين اق سنقر الناصري بالوشاية بالنائب اق سنقر السلاري الى السلطان منها:

١- الدافع الاقتصـادي الذي كان السـبب المباشـر في هذه الوشـاية، حرصًـا من الوشـاة على احتواء حالة الفوضـــى وفســاد الاوضـــاع خاصـــة في البلاد الشـــامية بســـبب منح الرواتب والإقطاعات والأراضـــي والأرزاق من دون مبرر وبشـكل عشـوائي، من دون تدقيق ودراية بالأمر ممّا دفع الوشـاة للنّم به إلى السـلطان لإيقاف كل التجاوزات على الأملاك العامة والخاصـة التي قام بها اق سـنقر السـلاري نائب السلطنة.

٢- اشـــار المؤرخ ابن حبيب إلى الأمير اق ســـنقر الســـلاري قائلا: "**كان أميرًا من أعيان أرباب النفقة وأكابرها عنده رأفة ورحمة وحنو على أصـــحاب الحوائج وســـيرته جيدة ومباشـــرته مشـــكورة**" (ابن حبيب، ١٩٧٦، ٥٨)، واســـتنادًا إلى صـــفاته هذه التي ذكرها ابن حبيب فربما لعب الحســـد والغيرة دورهما للوشاية به للسلطان حتى حنق عليه وحبسه ثم قتله في سجنه.

ويمكن عدّ هذه الوشاية من الوشايات السلبية في مقدماتها ونتائجها، فالحسد والغيرة مقدمات سلبية في بعدها النفســـي والاجتماعي فضـــلًا عن البعد الديني، والنتائج الســـلبية ما أدى للحبس والقتل، فعلى الصعيد الفردي أثرت الوشاية على حياة الشخص الذي وشي به، وبهذا تبتعد هذه الوشاية عن أي بعد فيه فائدة اقتصادية.

٣- بالتمعن جيدًا بالرواية كان للتظلم، الذي أصـــاب أصـــحاب الإقطاعات والأراضـــي التي تلاعب بها النائب السـلاري، والتي منحها لغيرهم دورًا كبيرًا بالوشـاية به إلى السـلطان وكبار الأمراء لما اصـاب أصحاب هذه الأراضي من ظلم وجور وخسائر لأراضيهم وأملاكهم من دون أي تعويض نالوه.

٤- إنّ موالاة النائب السلاري للملك الناصر أحمد في الكرك زاد الأمور سوء، فقد دفع اق سنقر الناصري أمير اخور(القلقشندي، ١٩٢٢، ١٨؛ طقوش، ١٩٩٧، ١٥٥) بالوشاية به الى السلطان الملك الصالح بأنّه كان يباطنه ويطلعه على الكتب الصادرة من السلطان، وهذا دليل واضح على أنّ السلاري كان سببًا في فساد أحوال السلطنة ليس على الصعيد الاقتصادي فحسب بل شمل امورًا اخرى.

وفي عام (٧٤٦هـ) تعرض جماعة من اهالي مدينة قوص للوشاية فقد اوشى بهم وذُكر بأنّهم عثروا على خبية أموال ، فرسم بمصادرتهم وأخذ اموالهم واملاكهم(المقريزي، ١٩٩٧، ١١؛ أبن شاهين، ٢٠٠٢، ١١٤).

كما وشى جماعة في نفس السنة، بأن ابنة الملك المظفر بيرس الجاشنكير وجد في دارها الواقعة في القاهرة خبية أموال، فرسم بالحفر في الدار نحو مقدار قامة، فلم يجدوا شيئًا يذكر(المقريزي، ١٩٩٧، ١١).

والجدير بالذكر إنّ هناك وشايات أدت إلى زيادة المظالم في الديار المصرية مما أثر سلبًا على واقع المجتمع المملوكي من الناحية الاقتصادية، فيذكر إنّ هناك مكاساً (المكس: انتقاص الثمن في البيع) (ابن منظور، د.ت.، ٤٢٤٨) من أراذل الناس يُدعى الفأر(هو ناصر الدين الذي عرف بفار السقوف والفار الضامن، تولى حسبة مصر عرف بسوء سيرته وقد تم عزله من منصبه ورسم بمصادرته) (المقريزي، ١٩٩٧، ٣٠٦؛ موسى، ٢٠١٦، ٣١٥) وكان من رسل الديوان المفرد (هو الديوان الذي أحدثه الظاهر برقوق كانت تخرج منه في زمن الدولة الممالكية نفقة المماليك السلطانية) (ابن شاهين، ١٩٩٣، ١٠٧) أخذ يتقرب من السلطان الناصر حسن (٧٥٢-٧٦٢هـ) ويوشي له بما فيه أذى الناس وسوئهم حتى حظي عند السلطان حسن وجعله من خواصه فاستحدث الكثير من المظالم مما أدى إلى تذمر العوام وتغير خواطر الأمراء وكثرة الدعاء على السلطان بسبب ما أصابهم من مظالم حتى قام جماعة من الأمراء وعلى رأسهم طاز المنصوري بالوثوب على الملك الناصر حسن والقبض عليه وإدخاله إلى دور الحرم(أبن اياس، ١٩٤٥، ٥٣٧)، يبدو أنّ سوء سيرة الفار وجشعه جعله يسعى إلى جمع الأموال وزيادة المصادرات في سبيل كسب ود السلطان من خلال توفير المبالغ الطائلة للدولة.

وبناءً على ذلك يمكن الاستنتاج بأنّ استبداد السلاطين، وتصرفهم بالأموال العامة وتبذيرها على خواصهم من سلبيات الأمور التي غالبًا ما تدفعهم إلى المصادرات، وفرض الضرائب وفسح المجال لكبار التجار والطامعين للتلاعب بأموال الناس والتضييق عليهم ممّا يعود بالنتائج السلبية على الدولة،

والسلاطين الأمر الذي يؤدي إلى إرباك الوضع الاقتصادي بشكل عام (طقوش، ١٩٩٧، ٥٧١)، وقد أشار المقريزي إلى "**أيام السلطان الناصر حسن قائلاً: "وكانت أيامه شديدة كثرت فيها المغارم بالنواحي**" (المقريزي، ١٩٩٧، ١٣٨).

كما وقد نتج عن تلك الوشاية من قبل الفار للسلطان الناصر حسن أن لجأ السلطان إلى إصدار ضرائب ومكوس جديدة على معاملات الناس وعلى التجار في سبيل استحصال الأموال الكبيرة لتوفير إيرادات الدولة ممّا انعكس ذلك سلبًا على المجتمع المملوكي الذي تعرض لكثير من المظالم ممّا دفعهم ذلك إلى الدعاء على السلطان وتحريض الأمراء على خلعه، فضلًا عن تمكنه من الوزير منجك بشكل كبير حتى كثرت شكاية الناس منه للسلطان والنّم عليه لسوء فعله، وكان منجك يعظم الفار كثيرًا ويقول: "**هذا أخي**" (المقريزي، ١٩٩٧، ١١٧؛ ابن شاهين، ٢٠٠٢، ١٧٩).

وطالما كثر سخط الناس من تمادي الفار الضامن عليهم إذ عَمد إلى زيادة المكوس والضرائب عليهم خاصة وإنّ هذا المحتسب كان على علاقة متينة مع الوزير منجك حتى أشارت المصادر إلى أنه كان يهدي إلى كبار رجال الدولة أفخم الهدايا في سبيل توطينه في المناصب العليا في الدولة، ممّا دفع ذلك إلى وشاية الناس بالفار إلى السلطان وإبلاغه بالمظالم والمصادرات التي كان يفرضها على الناس حتى رسم السلطان بضربة بالمقارع وأخذ منه الأموال التي صادرها، إذ قدر المال الذي خبأه بمائتين ألف درهم (المقريزي، ١٩٩٧، ١٤٤؛ بردي، ١٩٧١، ٢٦٢) وقد ذَكر المؤرخ المقريزي قائلاً: "**أهلّ المحرم والناس في بلاء عظيم من فأر السقوف ضامن الجهات فإنه أحدث حوادث قبيحة في دار البطيخ ودار السمك وسائر المعاملات وزاد في ضرائب المكوس...**" (المقريزي، ١٩٩٧، ١١٧).

ومن الجدير بالذكر أن معظم سلاطين المماليك كان كلما تسلطن منهم أحد يقوم بإجراء تعديلات بالضرائب والمكوس بحسب ما تمليه مصلحته وحسب ظروف الدولة وإحداثها وما تمر به من أزمات في عهده، فبعضهم كان يقوم بإلغاء مجموعة من الضرائب، والمكوس التي كانت تجبى في عهد من تسلطن قبله في محاولة منه للتقرب إلى نفوس الرعية، إلّا أنه ما إن اطمأن إلى تثبيت إقدامه على عرش السلطنة حتى يبدأ استبداده وجشعه فيعيد الكثير ممّا ألغاه من المكوس والضرائب مع الزيادة عليها (سالم، د.ت.، ٢٩٠)، وهنا لا بدَّ من بيان أسباب تلك الوشاية عن طريق نقاط عدة:

١- حالة التذمر والغضب التي أصابت الناس من جراء ثقل الضرائب، والمكوس التي فرضت عليهم والتي أخذ الفار الضامن يستبد بهم، ويستغل نفوذه في الدولة ضدهم.

٢- مكر ودهاء الفار الضـامن واسـتخدامه الحيل المتعددة للتقرب من السـلطان عن طريق الوشـاية له باسـتحداث الكثير من المظالم على الرعية وفرض القيود والمكوس عليهم ممّا ولد حالة السـخط والغضب ضده من قبل الناس والوشاية به إلى السلطان لقمعه وردعه بدليل أن السلطان أمر بالقبض عليه وضربه بالمقارع ومصادرته (المقريزي، ١٩٩٧، ١٤٤؛ بردي، ١٩٧١، ٢٦٢).

يمكن أنّ نسـتنتج من ذلك، إنّ الوشـاية لأسـباب اقتصـادية تحمل في طياتها أمورًا سـلبية وأخرى إيجابية **فالأولى**، أنها تحمل في طياتها جانبًا من الغيرة والحسد لما وصـل إليه الموشـى به من الثراء ورغد العيش و**الثانية**، أنها تعمل على الإيقاع بالمُوشـى به وكشـف جشـعه واسـتغلاله للناس تحقيقًا للمصـلحة العامة وحفاظًا على الأمن الاقتصادي للدولة.

وفي عام (٧٥٣هـ) وشى بعض تجار العجم إلى الملك الناصر حسن، من ظلم الولاة، حتى أجبروا على ترك بلادهم، ونمّوا له ببعض تجار القاهرة الذين باعوا بضـاعتهم لهم فأكلوا حقهم فيها، حتى أفلس بعضهم وطلبوا منه أنّ يثبتوا إعسارهم عند القاضي الحنفي، وهم عنده في السجن، فرسم السلطان للحاجب بأنّ يخرج غرماء التجار من حبسـهم ويخلص مالهم، وأعلن إنكاره على عمل القاضـي الحنفي ومنعه من التحدث في أمور المديونين والتجار، فأخرج الحاجب التجار وقام بضـربهم ومعاقبتهم حتى استخلص منهم الأموال تباعًا وبعد هذه الواقعة قام الحجاب في الدولة المملوكية البحرية بالتصـدي للحكم بين المحتكمين من الناس بدلًا من القضاة (المقريزي، ١٩٩٧، ١٥٦-١٥٧؛ ابن شاهين، ٢٠٠٢، ٢٣٢).

وأثناء سلطنة الملك الناصر الثانية سنة (٧٥٥هـ) زادت الأوقاف الإحباسية (يتحدث صاحبها في رزق الجوامع والمسـاجد والربط والزوايا والمدارس من الأرضـين المفردة من نواحي الديار المصـرية على سـبيل البر والصـدقة وتسـمى ديوان الأحباس وغالبًا ما يتحدث فيها السـلطان بنفسـه أو نائبه أو الدوادار الكبير (القلقشـندي، ١٩٢٢، ٣٨) على الكنائس والأديرة زيادة كبيرة تمَّ تقديرها في ديوان الأحباس) (يقوم صـاحبها بكتابة كل ما يكتب فيه ناظر الاحباس إلا أنها بَطُلت) (القلقشـندي، ١٩٢٢، ٢٠٣) بخمسـة وعشـرين ألف فدان من الرزق بحوزة النصـارى، وقد وَشـى أحدهم بذلك إلى الأمير صـرغتمش (هو صرغتمش بن عبدالله الناصري، الامير سيف الدين، صاحب المدرسة بالصليبة، أصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون ومن كبار الأمراء في دولة الناصر سنة (٧٥٩هـ)) (ابن حبيب، ١٩٧٦، ٢١٣) الذي قام بدوره بإبلاغ السـلطان بذلك، فأمره السـلطان أن يحقق بالأمر ويتأكد من ذلك وقد قام الأمير بالكشف في ديوان الأحباس، فظهر له صحة ذلك الخبر وأعلم السلطان بالكشف، فرسم السلطان بإخراج

كل الأرزاق وتوزيعها على الأمراء، لزيادة اقطاعاتهم، كما أمر بإبطال جميع الأوقاف على الكنائس والديورة التي بيد النصارى إضافة إلى أنّه رسم للأمير صرغتمش بهدم الكنائس والديورة الكبار (المقريزي، ١٩٩٧، ٢٠١؛ ناصر، ٢٠٠٣، ١٣٤)، ويمكننا أنّ نحدّد أسباب عدة لهذه الوشاية نذكر منها:

١- توتر العلاقات واتسامها بالعداء المستمر والمتبادل بين طائفتي المسلمين والنصارى أثناء فترة العهد المملوكي ربما كان سببًا دعا إلى هذه الوشاية التي وصل صداها للسلطان وإبلاغه بما وصلت إليه كثرة الأوقاف على الكنائس والديورة لكي يتخذ الإجراء اللازم ضدّ النصارى بعد فسح المجال لهم من جهة الاستفادة من الأوقاف الاحباسية التابعة لهم، ومن جهة أخرى لاستغلال تلك الاحباس لجانب الدولة المملوكية عن طريق مصادرتها والإفادة منها.

٢- زيادة نفوذ بعض كبار الأمراء ومنهم الأتابك صرغتمش الذي آلت إليه أمور المملكة بالديار المصرية فأخذ يحلّ ويعقد كيفما شاء وتصرف بحرية بأحوال المملكة، حتى استغل هذه الوشاية بأوقاف النصارى وأخذ ينمُّ إلى السلطان بأمر تلك الأوقاف وبضرورة استحصالها حرصًا منه على زيادة أموال الدولة وازدهار اقتصادها ليرفع من شأنه في ذلك أمام السلطان ويتقرب إليه.

٣- عندما تبوأ السلطان الناصر حسن للعرش للمرة الثانية ابتعد عن مقاليد الأمور، بسبب انشغاله بأمور الدرس والتعبُّد، فتصرّف الأمراء وفق أهوائهم حتى شكلوا فئة من الجشعين الطغاة ما لبثوا أن استبدوا بالسلطة وسعوا لجمع الأموال الطائلة طمعًا منهم للاستقلال بالملك (طقوش، ١٩٩٧، ٣١٢) مستغلين هذه الوشاية لتحقيق مصالح شخصية.

٤- رغبة من الواشي للإنعام عليه بالأموال وعلى الأمراء الذين سعوا فيها للسلطان بدليل توزيع تلك الأوقاف على كبار الأمراء زيادة على اقطاعاتهم، كما رسم بتوزيع الرزق لجماعة من الفقهاء (المقريزي، ١٩٩٧، ٢٠١)، وليس ذلك بالشيء المستغرب فطالما سعى سلاطين المماليك إلى استحصال الأموال والمصادرات بشتى الطرق.

وفي مقابل ذلك يمكن توضيح ما نتج عن هذه الوشاية، فقد رسم السلطان الناصر حسن بإبطال كافة الأوقاف على الكنائس والديورة التي كانت بيد الأنصار مما أدى ذلك إلى تطاول أيدي العامة عليهم وعلى ممتلكاتهم إضافة إلى منعهم من الخدمة في كافة الأعمال فقد قام الناس بهدم العديد من الكنائس والمساكن التي عَلت على أبنية المسلمين (المقريزي، ١٩٩٧، ٢٠٤).

ولم تَخل هذه الوشاية من نتائج إيجابية تحققت في المجتمع المملوكي، فقد أشيع في الوجه البحري (هو تقسيم إداري يبدأ من شمال القاهرة، وينتهي إلى سواحل المتوسط)

(القلقشـــندي،١٩٢٢، ١٣٦)، والوجه القبلي (هو تقســيم إداري يبدأ من جنوب مصـــر وينتهي إلى جنوب أسوان ويتكون من تسع ولايات) (القلقشندي، ١٩٢٢، ٦٦؛ بحر، د ت، ٣٣؛ الحجي، ١٩٩٢، ٢٠) خبر إســلام النصـــارى وحفظهم للقرآن الكريم ومواظبتهم على الحضــور للمســاجد (المقريزي، ١٩٩٧، ٢٠٥)، فنتيجة لهدم كنائســهم وإبطال أوقافها زاد عليهم البلاء حتى قلَّت أرزاقهم ففشــا الدِّين الإســلامي في عموم النصارى بديار مصر حرصًا منهم للبقاء في وظائفهم الإدارية في الدولة.

ومن السلاطين الذين تعرضوا للوشاية الملك الناصر حسن، ففي مستهل سنة (٧٦٢هـــ) إذ وشى أحد الخاصّـكية إلى الملك الناصـر بأن الأمير يلبغا العمري (الأمير سـيف الدين، يلبغا بن عبدالله العمري الناصـري، الخاصـكي اشـتراه الملك الناصـر حسـن واعتقه وجعله من خواصـه ثم امرّه عشـرة ثم طبلخاناه وصـار من كبار الامراء قي المملكة حتى ظقر باستاذه الملك الناصر حسن وقتله وتسلطن في مصر الا انها لم تدم له وقتل من قبل مماليكه ســـنة ٧٦٨هـ) (ابن حبيب، ١٩٧٦، ٣٠٠؛ بردي، ١٩٨٤، ١٥٧؛ ابن شـاهين، ٢٠٠٢، ٣٩٢) تنكر على السـلطان معارضًـا إياه ما كان يفعله في منح الإقطاعات الكبيرة إلى النساء، فضـلًا عن اهتمامه المتمادي بالطواشية الذين أخذوا في التدخل بأمور المملكة، كما نمّوا إليه بكل أمر قبيح عن يلبغا في حق الســـلطان وبأنّه كان يعارض الملك في كافة أفعاله ممّا أدى إلى حنق الناصـــر حســن عليه وندمه على ما قام به في ترقيته حتى ســاءت العلاقة بينهما، فقد كان يلبغا قد عظم أمره وأصبح من أهم وأقرب أمراء السلطان الناصر (بردي، ١٩٧١، ٣١١؛ طقوش، ١٩٩٧، ٣١٢).

وفي أثناء سـلطنة الملك الأشـرف بن شـعبان (٧٦٤–٧٧٨هـ)، وتحديدًا في سـنة (٧٦٧هـ) وشـى أحدهم إلى الســلطان بالفســاد الذي قام به أولاد الكنز (هم قبيلة تنتســب إلى كنز الدولة، وقد دخلت بلاد النوبة وحكمتها) (المقريزي، ١٩٩٧، ٢٨٥) إلى جانب طائفة العكارمة (العكارمة، بطن من بطون الأوس من القحطانية مســاكنهم بجوار منفلوط في مصـــر في الصـــعيد تحديداً) (المقريزي، ١٩٩٧، ٢٨٥) في أسوان (مدينة كبيرة وكورة في آخر الصـعيد) (البغدادي، ١٩٩١، ٧٨) وسواكن (بلد مشـهور على سـاحل بحر الجار، مرفأ لسـفن الذين يقدمون من جدة) (ياقوت الحموي، ١٩٩٥ ،٢٧٦)، بأنّهم قاموا بمنع التجار والمارة من السـفر حيث قطعوا عليهم الطرق وأخذوا منهم الأموال جبرًا بغير وجه حق، حتى سـيطر أولاد الكنز على ثغر أسوان وعلى صـحراء عيذاب (هي بلدة على ساحل بحر القلزم، وهي مرسـى المراكب التي تقدم من عدن) (البغدادي،١٩٩١، ٣٧٤) وبر الواحات الداخلة حتى التجأوا إلى مصـــاهرة ملوك النوبة (بلاد واسـعة جنوب مصـر وأهلها نصـارى أهل شـدة في العيش أول بلادهم بعد أسـوان، واسم مدينة النوبة دنقلة وهي منزل الملك على ســـاحل النيل) (البغدادي، ١٩٩١، ١٣٩٤) وأمراء طائفة العكارمة وعظم

شأنهم واشتدت شوكتهم (أبن اياس، ١٩٤٥، ٢٩). وقد رسم السلطان إزاء ذلك بإرسال طائفة من المماليك السلطانية بقيادة الأمير أقتمر عبد الغني (أقتمر بن عبد الله الأتابكي الأمير سيف الدين المعروف بأقتمر عبد الغني من أكابر أمراء الديار المصري، كان أميرًا حاسمًا عاقلًا سيوسًا كثير المعروف توفي سنة (٧٨٣هـ)) (العسقلاني، ١٩٦٩، ٢٤٣؛ ابن تغري بردي، ١٩٨٤، ٤٩٧) لمواجهتهم وكسر شوكتهم فعقد الأمير اجتماعًا بملك النوبة وأولاد الكنز وطائفة العكارمة ثم احتال على أولاد الكنز وطائفة العكارمة فدبر لهم مكيدة بمساعدة ملك النوبة حتى قبض عليهم جميعًا وسجنوا بالقاهرة (عاشور، ١٩٧٦، ٩٦).

لقد حققت الحملة العسكرية التي أرسلها السلطان الأشرف إلى بلاد النوبة نجاحًا باهرًا، لأنّها رسخت الوجود المملوكي هناك بعد وصول العساكر المملوكية إليها (عاشور، ١٩٧٦، ٩٧)، فقد استخدم سلاطين المماليك القوة في ردع حركات التمرد في بلاد النوبة منذ ولاية السلطان الظاهر بيبرس (المقريزي، ١٩٩٧، ٢٨٥–٢٨٦؛ أبن ياس، ١٩٤٥، ٣١)، ويبدو من مطالعة الرواية إنّ الأسباب الاقتصادية واضحة في هذه الوشاية، نذكر منها:

١– استبداد أولاد الكنز وطائفة العكارمة بمنطقتي أسوان وسواكن وسيطرتهم على الطرق المهمة المؤدية للتجارة وقطعهم لتلك الطرق أمام التجار والناس المارة بما يعود بمردود سلبي على واقع الحياة الاقتصادية وإيرادات الدولة المملوكية.

٢– استحواذ أولاد الكنز والعكارمة على أموال الناس وأخذها بغير حق (المقريزي، ١٩٩٧، ٢٨٥؛ أبن اياس، ١٩٤٥، ٣٠)، ممّا أثار غضب الناس وحنقهم عليهم حتى وشوا بهم إلى السلطات المملوكية لكسر شوكتهم.

٣– اشتداد شوكة أولاد الكنز وطائفة العكارمة إضافة إلى مصاهرتهم لملوك النوبة ممّا يعزز قوتهم ويثير فيهم روح التمرد ضدّ الدولة المملوكية والسعي للاستقلال عن الدولة، ممّا بعث الواشي هنا إلى تنبيه الدولة لحالتهم لاتخاذ ما يلزم من إجراءات لئلا يفرضوا سيطرتهم على مراكز التجارة الحيوية في الدولة.

نستنتج من هذه الوشاية أنّها كانت في مصلحة الدولة، فقد أرسلت العساكر بقيادة الأمير أقتمر الذي قضى على حالات الفساد والتمرد التي حلّت بالتجار والناس، وبالقبض على أولاد الكنز وأمراء العكارمة وقد أخذ منهم كل الأموال والذخائر كما التزمت تلك المناطق بإرسال الأموال سنويًا إلى السلطان، (أبن اياس، ١٩٤٥، ٣٠) وهذا ما يعود بالفائدة إلى خزينة الدولة التي سعت دائمًا إلى نشر الأمن والأمان في الأقاليم التابعة لها.

وفي شـهر ربيع الأول من سـنة (٧٧٥هـ) قلت جميع البضـائع والغلال في القاهرة حتى وقع فيها القحط، وقد أشـار ابن اياس إلى ذلك قائلاً: "**فبلغ كل أردب** (هو نوع من الموازين المتعارف عليها بمصـر وهو يعادل ستة وتسعين قدحًا صغيرًا) (ابن دقماق، ١٩٩٩، ١٤٣) **قمح مائة وعشرين درهمًا، وكل اردب شـعير ثمانين درهمًا، بلغ سـعر الرغيف الخبز أربعة دراهم، وبلغ رطل اللحم الضـأن درهمين... وصـار سـعر القمح كل يوم يتزايد وشـرق غالب البلاد واشـتد البلاء على الناس قاطبةً**" (أبن اياس، ١٩٤٥، ١٢٥).

واستمرت هذه الحالة على الناس من الشدة حوالي نصف سنة حتى اضطروا إلى أكل خبز النخال، فتعصب بعض العامة ووقفوا تحت القلعة في الرملة وهم يحملون فوق الرؤوس أعلام ومصاحف مستغيثين: "**الله ينصر السلطان**" (أبن اياس،١٩٤٥، ١٢٥) وقد أرسل السلطان لهم الأوجاقية (الأوجاقية أو الأوشاقية وهي فرقة من خدم السلطان عملها ركوب الخيل للتسيير والرياضـة) (القلقشـندي، ١٩٢٢، ٤٥٤؛ زناتي، ٢٠١٠، ٤٨) يسـألهم عن حاجتهم فكانت وشـاية بالمحتسـب علاء الدِّين بن عرب (هو علاء الدين أبو الحسـن علي صـاحب حسـبة القاهرة ووكالة بيت المال ونظر الخزانة، توفي سـنة (٧٨٠هـ)) (المقريزي، ١٩٩٨ ، ٧٨) مطالبين بعزله، بسبب أخذه براطيل السوقة، وبسبب كونه لا يقوم بتسعير البضـائع، حتى عمّ ضرره على الناس للغاية، ونتيجة لذلك، فقد رسم السلطان بعزله (العسقلاني، ١٩٦٩، ٥٩؛ أبن ياس، ١٩٤٥، ١٢٦).

يبدو أن أمر الحسـبة قد فسـد في المجتمع المملوكي، بسـبب البذل (هو من الألفاظ الشـائعة في العصـر المملوكي، رغم أن لفظه يدل على العطاء والكرم إلا أن المقصـود به في المصـادر المملوكية هو الرشـوة) (أحمد، ١٩٧٩ ،١٣)، والبرطلة عليها طيلة عهدهم حتى زاد الطمع في أموال العامة، بسـبب هذه الظاهرة التي عُدّت الأسـاس في تدهور وانهيار وظيفة الحسـبة (أبو زيد، ١٩٨٦، ٨٧–٩٧–٩٨)، ويمكن أنّ نوضح أسباب عدّة دفعت الناس للوشاية بالمحتسب علاء الدِّين بن عرب، منها:

١– السـيرة السـيئة التي امتاز بها هذا المحتسـب، بسـبب أخذه للبراطيل والرشـاوي من عند السـوقة. (العسقلاني، ١٩٦٩، ٥٩؛ أبن اياس، ١٩٤٥، ١٢٦).

٢– الضـرر البالغ الذي أصـاب الناس نتيجة عدم تسـعيره للسـلع والبضـائع ممّا أدى إلى إثارة الرأي العام ضده والوشاية بأفعاله هذه لدى السلطان (العسقلاني، ١٩٦٩، ٥٩؛ أبن اياس، ١٩٤٥، ١٢٦).

٣- تفشي ظاهرتي البذل والبرطلة في المجتمع المملوكي من قبل كبار الرجال في الدولة حتى أخذ البعض منهم يسعى بوظيفة الحسبة لأكثر من مرة بالمال (أبو زيد، ١٩٨٦، ٩٤).

٤- كان استقرار بعض المحتسبين في هذه الوظيفة لفترة طويلة أثرًا سلبيًا عليهم وعلى العامة بسبب ممارستهم لأخذ الرشاوي والبراطيل ممّا أثقل كاهل الناس كما عرف عنهم من القباحة والسخف وسوء السيرة ممّا جعلهم ينمّون به إلى السلطان.

فضلًا عن تردي الأوضاع الاقتصادية وتدهور الأحوال المعيشية للعامة، بسبب ما حلَّ بالبلاد من الغلاء، ونقص المحصول نتيجة توقف زيادة ماء النيل وتأخره عن الوفاء (أبن اياس، ١٩٤٥، ١٢٤)، وقد نتج عن هذه الوشاية إجراءات عدة قام بها السلطان لحلّ هذه الأزمة منها:

أولاً: عزل المحتسب علاء الدِّين بن عرب عن منصب الحسبة.

ثانياً: في محاولة علاجية للأزمة قام السلطان بتفريق الغلال على الفقراء والمساكين ورسم بتفريق الفقراء والحرافيش (جمع حرفوش، أي الرعاع والدهماء وضعاف الخلق) (زناتي، ٢٠١٠، ١٢٥) على كبار الأمراء والتجار (أبن اياس، ١٩٤٥، ١٢٥)، من أجل امتصاص غضب العامة وكسب الرأي العام لمصلحته.

وقد أنكر القاضي ابن جماعة (برهان الدين ابو اسحاق إبراهيم بن الخطيب ولد سنة (٧٢٥هـ) وولي قضاء مصر ثم دمشق تميز بحسن السيرة، توفي سنة (٧٩٠هـ)) (أبن حبيب، د.ت.، ٢٣٦؛ طولون، ١٩٥٦، ١١٣) ما قام به الأستادار محمد بن الأمير أقبغا آص (هو محمد بن أقبغا آص، الأمير ناصر الدين، كان من جملة أمراء الملك الأشرف شعبان الطبلخانات، توفي سنة (٧٩٥هـ)) (بردي، ١٩٨٤، ٣٢٧؛ الصرفي، د.ت.، ٣٧٠) من عمل مشين بإعادته لمكس الاغاني الذي كان يعد من أشنع الشنائع والقبائح لما كان يتحصل منه من أموال كثيرة، فغضب لذلك القاضي ووشى بذلك إلى السلطان عام (٧٧٨هـ) فأنكر السلطان إعادته ورسم بإبطاله، وغضب على ابن آقبغا آص وأمر بنفيه إلى القدس بطالًا كونه حاول إعادته (ابن العراقي، ١٩٨٩، ٤٢٧؛ أبن شاهين، ٢٠٠٢، ١١٢).

وفي بعض الأحيان نلاحظ إنّ تعرض الشخص إلى الحبس أو أية عقوبة أخرى قد تضطره إلى الوشاية، لإنقاذ نفسه من العذاب والذل كما حدث للزمام مثقال الجمالي (هو الطواشي سابق الدين مثقال الجمالي زمام الدور السلطانية كان من خدام المجاهد صاحب اليمن فلما حج نهب وأبيع فاشتراه حسين بن الناصر محمد، وترقى في الخدم وصار في الجمدارية ثم ولي شد الأحواش ثم ولي زمام الدور، توفي سنة

(٧٩١هـ)) (ابن قاضي شهبة، ١٩٩٤، ٣١٣) الذي قبض عليه الأمير برقوق وعرضه للعقوبة لإجباره على الإدلاء بذخائر الملك الأشرف شعبان، فوشى له الجمالي بأماكن تلك الذخائر ومنها صندوق مدَّخر في الدور السلطانية وجدوا فيه ثلاثين ألف دينار ثم وشى إليهم بموضع آخر عثروا به على مبلغ خمسة عشر ألف دينار مع برنية (يقصد بها إناء من خزف التي من القوارير) (الزبيدي، د.ت.، ٨٠٨٤) تحتوي جواهر ثمينة وفصوص من ضمنها فص عين الهر الذي كان يزن ستة عشر درهمًا (المقريزي، ١٩٩٧، ٦٤؛ بردي، ١٩٧١، ١٧٠)، فأرسل الأمير برقوق بالجمالي إلى الأمير بركة فقام بعصره في محاولة منهما للحصول منه على معلومات أخرى إلا أنه لم يعترف بشيء (ابن تغري بردي، ١٩٧١، ١٧٠).

ومن الوشايات التي وقعت لأسباب اقتصادية ما تعرض إليه الوزير ابن الملكي، إذ قام بقطع رواتب الناس كما منع مباشري الجهات من مباشرة مهامهم ظنًا منه إنّ أحواله تستقيم بما يوفره من أموال، إلّا أنّه أوشي به إلى الأتابكي برقوق الذي سأله عن مقدار ما قام بتوفيره جراء ذلك، فأعترف له بالمبلغ الذي وفره، فرسم الأتابكي بأنّه يخرج من الوزارة بعض النواحي التي كان يتحصل فيها بالقدر الذي كان يوفره، ما سبب له ذلك ضررًا كبيرًا، فمن استضعفه الوزراء، قاموا بتوفير معلومهم منه كي يوسعوا أموالهم، فكثر دعاء الناس عليه ومقتهم له، وعزل وباء بقبيح الكلام (ابن شاهين، ٢٠٠٢، ١٦٢) وذكر ابن ياس قائلًا عنه: "**فكان تدبيره في تدميره**" (ابن اياس، ١٩٤٥، ٢٥١–٢٥١).

وفي سنة (٧٨١هـ) عاد الأمير بركة الجوباني بعد ما كان مسافرًا للصيد في الصعيد فوشى إليه الأتابك برقوق بأن اينال اليوسفي اليلبغاوي أمير سلاح، قد انتهز غيبته وجهز مماليكه للركوب محاولًا الهجوم على الإسطبل السلطاني يسانده عدد من الأمراء الكبار، إلّا أنّ الأمير برقوق ركب بمماليكه وكسر أينال وأصحابه بعد قتالهم وتمكن من القبض عليه وحبسه في سجن الإسكندرية مع بعض الأمراء، فقرر الأميران برقوق وبركة على احضار الأمير يلبغا الناصري نائب طرابلس والأنعام عليه بإقطاع إينال وأن يتولى القيام بوظيفته أمرة سلاح (المقريزي، ١٩٩٧، ٧٢–٧٣؛ بردي، ١٩٧١، ١٦٨–١٦٧).

الخاتمة:

وممّا تقدم ذكره يمكن الاستنتاج بأن الأسباب أو العوامل الاقتصادية للوشاية لعبت الدور البارز وواضح في المحافظة على أمن المجتمع المماليكي آنذاك عن طريق القبض على مرتكبي السرقة من قبل رجال السلطة المملوكية، والاحتياط على أموالهم وبيوتهم، والتشهير بهم ومن ثم ضربهم وحبسهم في

السجون وإعادة الأموال والأشياء المسروقة إلى أصحابها، وإصدار أوامر احترازية من قبل الأتابك برقوق منها الزام أصحاب القياسرة بأن لا يسكنوا بها أي تاجر إلّا بعد أن يضمّنوا عليه، وجعل هذه الواقعة عبرة لمن اعتبر في المجتمع المملوكي هذا من الجانب الايجابي وهو الاعم، إلّا إنّ للوشاية جانب سلبي يتمثّل في الإيقاع ببعض الاشخاص خاصة إذا كانت تحمل في طياتها جانبًا من الحسد والغيرة لما وصل إليه الموشى به من الثراء ورغد العيش.

المصادر والمراجع:

المصادر:

- **ابن أياس، محمد بن احمد الحنفي (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م).**

بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى وموريس سور نهايم، مطبعة المعارف (استنابول، ١٩٤٥هـ).

- **البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمايل القطيعي البغدادي الحنبلي صفي الدين (ت٧٣٩هـ/١٣٣٩م).**

مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ط١، دار الجبل، (بيروت، ١٤١٢هـ).

- **ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف الاتابكي، (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م).**

الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، (القاهرة، د.ت).

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق ووضع الحواشي د. محمد محمد امين د. سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، ١٩٨٤م).

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق د. ابراهيم علي طرخان، مراجعة د. محمد مصطفى زيارة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م).

- **ابن حبيب، الحسن بن عمو بن الحسن (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م).**

تذكرة النبيه في ايام المنصور وبنيه، تحقيق د. محمد محمد امين وآخرون، مطبعة دار الكتب، (١٩٧٦م).

درة الاسلاك في دولة الاتراك، مخطوطة، مكتبة ايا صوفيا، شبكة الالوكة، (د. م. ت).

- **ابن حجر العسقلاني، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد (ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م).**

انباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق د. حسن حبشي، المجلس الاعلى للشؤن الاسلامية، ولجنة احياء التراث الاسلامي، (القاهرة،١٩٦٩م).

الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، دار أحياء التراث العربي، (بيروت، د. ت).

رفع الاصر عن قضاة مصر، تحقيق د. علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي (القاهرة، ١٩٩٨م).

- **الدواداري، ابو بكر عبد الله بن ايبك (ت٧٣٦هـ/١٣٣٦م).**

كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق د. عبد الفتاح عاشور، (القاهره، ١٩٧٢م).

- **ابن دقماق، ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي (ت٨٠٩هـ/١٤١١م).**

نزهة الانام في تاريخ الاسلام، تحقيق سمير طبارة، ط١، المكتبه العصريه للطباعه والنشر، (بيروت،١٩٩٩م).

- **الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م).**

تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق، د. بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الاسلامي (د. م، ٢٠٠٣م).

- **الزبيدي، ابو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م).**

تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعه من المحققين، د. ط، دار الهداية، (د. م، د.ت).

- **ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط بن ابي الصفاء غرس الدين خليل الظاهري الحنفي، (ت٩٢٠هـ/١٥١٤م).**

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح، بولس راويس، المطبعة الجمهورية، (د. ط)، (باريس، ١٩٩٣م).

نيل الامل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، (بيروت، ٢٠٠٢م).

- **الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م).**

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الاسلامي (القاهرة، د. ت).

- **الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).**

اعيان العصر واعوان النصر، تحقيق د.علي ابو زيد واخرون، ط١، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٨م).

- **الصقاعي، فضل الله بن ابي الفخر (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م).**

تالي كتاب وفيات الاعيان، تحقيق جاكلين سوبلة، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات الغربية، (دمشق، ١٩٧٤م).

- **الصيرفي، علي بن داوود الجوهري (ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م).**

نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان، تحقيق د. حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، (د. م، د. ت).

- **ابن طولون، محمد الصالحي (٩٥٣هـ/١٥٤٦م).**

قضاة دمشق (الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام)، تحقيق د.صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، (دمشق، ١٩٥٦م).

القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد احمد دهمان، مكتب الدراسات الاسلامية، (دمشق،١٩٤٩م).

- **ابن العراقي، ولي الدين ابن زرعه احمد بن عبد الرحيم بن الحسين (ت٨٢٦هـ/١٤٢٢م).**

الذيل على العبر في خبر من غبر، تحقيق صالح مهدي عباس، ط١، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٩م).

- **العريني، السيد الباز.**

المماليك، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت، د.ت).

- **العيني، بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد بن موسى بن احمد بن حسين (ت٨٥٥هـ/١٤٥٢م).**

عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تحقيق محمد محمد امين، د. ط، مطبعه دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة، ٢٠٠٩م).

- **ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م).**

تاريخ ابن الفرات، تحقيق د. قسطنطين زريق، المطبعة الامريكانية، (بيروت، ١٩٣٩م).

- **ابن ابي الفضائل، ابن العسال مفضل (ت٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م).**

النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق محمد كمال الدين، ط١، دار سعيد الدين للطباعة والنشر والتوزيع (د.م ،١٢١٧م).

- **الفيروزآبادي، محمد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م).**

القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، (بيروت،٢٠٠٥م).

- **ابن قاضي شهبة، ابو بكر احمد بن محمد بن عمر الاسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين، (ت٨٥١هـ/١٤٤٧م).**

تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، (دمشق،١٩٩٤م).

- **القلقشندي، احمد بن علي بن احمد الفزاري القاهري (ت٨٢١هـ/١٤١٨م).**

صبح الاعشى في صناعة الانشا، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة، ١٩٢٢م).

- **المقريزي، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر ابو العباس الحسيني العبيدي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م).**

السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت،١٩٩٧م).

المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، ط١، دار الغرب الاسلامي، (بيروت، ١٩٩١م).

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، تحقيق د. محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، ط١، مكتبه مدبولي (القاهرة، ١٩٩٨م).

- **المنصوري، ركن الدين بيبرس الدوادار (ت٧٢٥هـ/١٣٢٧م).**

زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالدس ريتشارد، ط١، المؤسسة الالمانية للبحث العلمي، (بيروت،١٩٩٨م).

- **ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت٧١١هـ/١٣١١م).**

لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير واخرون، دار المعارف، (القاهرة، د.ت).

الوافي بالوفيات، اعتنى به س. ديرينع، دار نشر فرانزشتايز بفيسبادن، (د. م، ١٩٧٤م).

- **النويري، شهاب الدين احمد عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القريشي البكري (٧٣٣هـ/١٣٣٣م).**

نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق د. نجيب مصطفى فواز ود. حكمت كشلي فواز، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٤م).

- **ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م).**

معجم البلدان، ط٢، دار صادر، (بيروت، ١٩٩٥م).

- **اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى (ت٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م).**

نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق د. احمد حطيط، ط١، عالم الكتب، (د. م ،١٩٨٦م).

- **اليونيني، قطب الدين ابو الفتح موسى بن محمد (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م).**

ذيل مرآة الزمان، ط٢، دار الكتاب الاسلامي، (القاهرة،١٩٩٣م).

المراجع:

- **أحمد، احمد عبد الرزاق.**

البذل والبرطلة في زمن سلاطين المماليك، الهيئة العامة للكتاب، (١٩٧٩م).

- **بحر، مجدي عبد الرشيد.**

القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك، (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د. م، د. ت).

- **الحجي، حياة ناصر.**

صور من الحضارة العربية الاسلامية في سلطنة المماليك، ط١، دار القلم، (الكويت، ١٩٩٢م).

- **دهمان، محمد احمد.**

معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط١، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٠م).

- **زناتي، أنور محمود.**

معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الاسلامية، ط١، دار زهران للنشر والتوزيع، (عمان، ٢٠١٠م).

- **ابو زيد، سهام مصطفى.**

الحسبة في مصر الاسلامية من الفتح العربي الى نهاية العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. م، ١٩٨٦م).

- **سالم، حلمي محمد.**

اقتصاد مصر الداخلي وأنظمته في العهد المماليكي، دار الرشاد للطباعة والنشر، (الاسكندرية، د. ت).

- **طقوش، محمد سهيل.**

تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ط١، دار النفائس للطباعه والنشر والتوزيع، (بيروت،١٩٩٧م).

- **عاشور، سعيد عبد الفتاح.**

العصر الممالكي في مصر والشام، ط٢، دار النهضة العربية، (القاهرة،١٩٧٦م).

- **مصطفى واخرون.**

المعجم الوسيط، دار الدعوة، (القاهرة، د.ت).

- **مهدي، شفيق.**

مماليك مصر والشام، ط١، الدار العربيه للموسوعات، (ببروت، ٢٠٠٨م).

- **موسى، محمد جمعه عبد الهادي.**

تاريخ الحسبة والمحتسبين بمصر في العصر المملوكي، ط١، دار الافاق العربيه، (القاهرة،٢٠١٦م).

- **ناصر، عمر نجيب موسى ناصر.**

الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، (الاردن،٢٠٠٣م).